الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية
www.orthodoxonline.org

الكنيسة مجال الروح

لأوليفييه كليمان

أرثوذكس تيوب
www.orthodoxtube.org

الإستاذ أوليفييه كليمان فرنسي المولد، اهتدى الى الأرثوذكسية في سن الرشد وهو الآن إستاذ في معهد القديس سرجيوس اللاهوتي في باريس. صدر له باللغة الفرنسية العديد من الكتب، أهمها: «حوار مع اثناغوراس»، «تساؤلات حول الإنسان»، «الكنيسة الأرثوذكسية»، «ثورة الروح»، «الوجه الداخلي»، «فكر سولجينتسين»، «الشمس الأخرى»، «في تجلّي الزمن»، «في صلاة القلب»، «المسيح أرض الأحياء»، «لاهوت التوبة»، «ينابيع» الخ... نُشر مقاله هذا في مجلة «كونتاكت» الأرثوذكسية التي تصدر في باريس، في عددها ٩٧ لسنة ١٩٧٧، وقد نقله ريمون رزق الى العربية بتصرّف.

« تعال أيها السر الخفي . تعال يا كنزاً لا اسم له . تعال يا حقيقة لا توصف ، تعال يا شخصاً لا يمكن إدراكه »[1] . بهذا توجه الى الروح القدس في أوائل القرن الحادي عشر القديس سمعان اللاهوتي الحديث أحد كبار المتصوفين البيزنطيين . من الصعب حقاً أن يتجرأ الإنسان ويتكلم عن الروح القدس الذي هو صمت (سكوت) في قلب الكلمة والذي يتعدى دائماً هذه الكلمة . . . ومع ذلك ، كيف يمكن للإنسان أن يحيا إلاّ في الروح ، هذه النفخة الواهبة الحياة ؟ يقول الآباء : « تجسّد الله لكي يصبح الانسان حاملاً للروح القدس (Pneumatophore) »[2] . ليس هدف التجسد والصليب والقيامة والصعود بمجد والجلوس عن يمين الآب سوى العنصرة .

---

(١) سمعان اللاهوتي الحديث ، أناشيد ، ١ .
(٢) أثناسيوس الاسكندري . راجع « أثناسيوس الكبير » ، سلسلة « القديسون » ، رقم ٥ ، منشورات النور (الناشر) .

الكنيسة هي ، في المسيح ، « كنيسة الروح القدس » ، حيث يحيا الانسان بالروح ، وبما أنه مدعو أن يتجاوز كل الحدود ، يصبح هو نفسه « روحاً » لا « يُعرف من أين يأتي و الى أين يذهب » (يو ٣ : ٨) . ويقول بولس الرسول إن « الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله . . . وما من أحد يعرف ما في الله غير روح الله » (١ كو ٢ : ١٠) .

سأتعرّض في ما يلي إلى شخص الروح القدس ، ثم الى علاقته بالمسيح وأخيراً إلى علاقته بالكنيسة ، جسد المسيح .

شخص الروح القدس

الله بكليته قدوس . الله بكليته روح

الروح القدس هو قداسة الله بالذات . انه ، كما يقول آباء القرن الرابع ، يُعبّر في « شركة » الأقانيم ، عما هو « مشترك في الطبيعة الالهية » . فيه يكمّل ملء الوحدة في التعدّد والتعدّد في الوحدة . وكما يقول اثناسيوس الإسكندري « فيه يجد الثالوث كماله » .(١)

(١) الى سيرابيون ١٥ .

الروح القدس هو « الثالث » السرّي الذي فيه تتجاوز إزائية الآب والابن ، ليس في اللاشخصي بل بالتمايز الشخصي الكلي في علاقة شركة ووحدة لأن « المحبة هي حياة الطبيعة الإلهية » على حد قول الآباء .

الروح « نطق الكلمة »[1] . انه النفحة الصامتة الحاملة الكلمة والمعطية إياه صدىً لا متناهياً . هو مسحة الابن منذ الأزل ، يكلّله بالمجد . يرجع القديس غريغوريوس النيصصي إلى كلمات المزمور : « يا الله ، إلهك مسحك بزيت الفرح »، ليطبّقها على أعماق الألوهة ، فيقول : « الذي مسح هو الآب ، والممسوح هو الابن ، أمّا الروح فهو المسحة ، زيت الفرح »[2] . وقد اعتُبر الزيت دائماً رمزاً للفرح ، والروح القدس هو الفرح بالذات . يقول القديس غريغوريوس بالاماس : « إن الروح هو الفرح الأبدي للآب والابن ، الذي فيه يبتهجان سوية »[3] .

وكما يجد الثالوث كماله في الروح القدس ، به أيضاً «يتناسى» سموه من أجل الاتصال بالبشر و اعطائهم امكانية

(١) يوحنا الدمشقي ، في الايمان الأرثوذكسي ، ١ ، ٨ .
(٢) ضد أبوليناريوس ، ٥٢ .
(٣) الفصول الطبيعية واللاهوتية ، ٣٧ .

الاشتراك فيه . بالروح القدس يتدفق النور والنار ، والحياة والعظمة . انه « نهر الحياة » الوارد ذكره في سفر الرؤيا ، الذي « ينبع من عرش الله والخروف » (رؤيا ٢٢ : ١). وهكذا يتخذ الروح ، الذي ليس له اسم خاص به في الألوهة ، كل الأسماء في هذا الإشعاع للمجد المالىء الكون . « أمتلىء خوفاً ، يقول القديس غريغوريوس النازينزي ، عندما أفكّر بغنى هذه الأسماء . . . انه يهبّ حيث يشاء ، انه ينبوع النور والحياة . . . يتوزّع في ألسنة نارية . . . »[١]. ويتكلم الآباء ، بهذا الصدد ، عن ملء سري ، توق نحو الملء : الروح ، بالنسبة لهم «يحتوي كل الأشياء ويكمّل الكل»[٢].

كان الفكر المسيحي في القرون الثلاثة الأولى ، يستطيب وصف الله الوارد في الرسالة الى أهل افسس : « فوق كل شيء وعبر كل شيء وفي كل شيء » (أف ٤ : ٦) . وكان يعتبر أن الآب هو « فوق كل شيء » ، مصدر كل وجود وأن الكلمة هو « عبر كل شيء » ، النظام ، المؤسسة ، الفهم ،

---

(١) مواعظ ٣١ .
(٢) يوحنا الدمشقي ، النص المذكور ، ٨ ، ٨٢١ .

وان الروح القدس هو « في كل شيء » دافعاً كل شيء باتجاه كماله . الروح ، في الكون كما في الانسان ، هو الذي يهيء ويكمّل بآن . انه يرفّ على وجه المياه الأصليّة كطائر كبير مدخلاً إياها في عنصرة كونية وجاعلاً إياها مطيعة لنداءات الكلمة . هو الذي يحفظ ، بعد السقوط في عالم الانفصال والموت ، « العالم من الإنحلال » ، كما تقول إحدى ترانيم عيد العنصرة . إنه يعبّر عن تنهّد الخليقة وأنينها ، ويهيء تجلّيها الأخير في شخص المسيح الناهض من القبر وفي كل القائمين من الموت . الروح يجعل من الإنسان صورة الإله الحي الذي ينفخ في منخريه « نفحة الحياة » (تكوين ٢ : ٧) ، التي تكون فيه ، في آن ، بذرة عنصرة ووعد بها . « لم يكن بالإمكان اعتبار كائن خارج من التراب صورة للعلي لو لم يحصل على هذه النفحة »[١] . فيظهر الروح إذاً في الإنسان كالذي يؤكد صلابة الشخص في قدرته على تجاوز ذاته ، « كتوق نحو الحياة الأسمى »[٢] . الروح يجعل من الإنسان الكائن « العطشان » الذي يتكلم عنه سفر الرؤيا (رؤيا ٢٢ : ١٧) .

---

(١) القديس كيرلّس الإسكندري ، في أيوب ١١ ، ١٠ .
(٢) ديونيسيوس الأريوباغي ، الأسماء الإلهية ٤ ، ٢٠ .

وهكذا يبدو الروح وكأنه ملكوت الآب كما ورد في نص بديل للصلاة الربانية في انجيل لوقا: «ليأت روحك القدوس» بدلاً من «ليأت ملكوتك»[1]. ويقول سمعان اللاهوتي الحديث: «يصبح الروح القدس، في القديسين، كل ما يقوله الكتاب المقدس عن ملكوت الله، أي اللؤلؤة، حبّة الخردل، الخميرة، الماء، النار، الخبز، المشرب، خدر الختن، العريس، الصديق، الأخ والأب»[2].

كلمة «روح» (RUAH) العبرية يجوز فيها التذكير والتأنيث وتحمل رمزية مزدوجة تشير إلى الإنفصال والخصب في آن. ويُعبّر عن وجود الروح، بصور الحركة والطيران والتدفق والنبوع (الريح، اللهيب، الماء العذب، الحمامة) أحياناً، وأحياناً أخرى بصور ترمز إلى الامتلاء («الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر» اشعياء ١١: ٩)، وصور ترمز الى التحليق والاستشراب والسكنى (العصفور الطائر فوق المياه

(١) راجع مثلا القديس مكسيموس المعترف، تفسير الصلاة الربانية، الباترولوجيا اليونانية، ٩٠، ٨٨٤.
(٢) عظة ٩٠.

الأصلية ، المسحة ، زيت الفرح ، العمق الداخلي) . وبهذه الصور لا يعود الروحُ الإله الكليَّ الآخريَّة ، بل الإله « الأقرب إليّ من ذاتي » ، إذا شئنا أن نستعمل عبارة المغبوط أغسطين . « كلي الآخريَّة » حتماً ، لكن ، في الوقت نفسه ، « الحاضر في كل مكان والمالىء الكل » كما تقول الصلاة إلى الروح القدس التي تتابع قائلة : « هلّم و اسكن فينا » .

توحي اللغة السامية الجنوبية القديمة ومن بعدها اللغة العبرية بمعنى آخر لكلمة « روح » يشير إلى العطر والمجال الحرّ الطلق ، و « صوت النسيم اللطيف » المذكور في قصة إيليا ، في سفر الملوك الثالث (١٩ : ١٢) . الروح مجال الإنسان ، النفخة المحيية حيث الإنسان مدعو إلى مشاركتها في تنفسه بالذات . إنه النار التي تلهب الدم ، الصمت المرتبط بنبضات القلب . . . يقول عنه مكسيموس المعترف : « انه نار لا توصف وعجب مخفي في جوهر الأشياء »[1] . يتحد المجال الحر والنار بشكل صليب ، في سر الحمامة ، عصفور النور ، الذي يعبّر وثوبه عن قلب ملتهب .

---

(١) PG. 91, 1148, Ambigua

علاقة الروح القدس بالمسيح

بشكل صليب

تمحور الروح القدس حول شخص يسوع أثناء حياته على الأرض. وقد ظهر يسوع كما اعلن نفسه في الاناجيل انه مكرّس من الروح، ممسوح منه، ليس فقط ذاك الذي يستقر عليه الروح بل ايضاً من تختلج فيه النعمة المحيية. ان التعليم الإنجيلي المتعلق بالمسيح هو «روحي» بالأساس، أي انه متمحور حول سر «حلول الروح» المتمم في إنسانية يسوع، الهادف الى تأليه الطبيعة البشرية كلها في المسيح، وبواسطة الروح القدس، ومن خلال الطبيعة البشرية، تأليه الكون كله.

يؤكد لوقا الإنجيلي بصورة خاصة كم أن التجسّد هو عمل الروح . يحلّ الروح على مريم ويظللها تماماً كما فعلت السكينة (Shekhinah) ، أي حضرة الله ، على جبل سيناء ، أثناء العهد الأول . وكذلك يوحنا السابق ، و أليصبات،وزكريا، وسمعان الشيخ ، كلهم كانوا يفعلون ويسبّحون بوحي من الروح القدس . ويظهر الروح أثناء المعمودية في الأردن ، انه يأتي من الآب ويستقر على الكلمة المتجسّد . بعد ذلك ، يعيش يسوع ، طيلة حياته عن الأرض ، حاملاً نفحة الحياة الحقيقية . ويعلن ، في أول كلام معلن أثناء خدمته العامة ، إتمام النبوءة : « روح الرب عليّ . . . » (لو ٤ : ١٨ ، اشعياء ٦١ : ١) . كذلك تلاحظ أن الروح « أخرج » (مر ١ : ١٢) يسوع الى البرّية ، و به يحقق يسوع بقوة « علامات » الملكوت ، شافياً المرضى ومقيماً الأموات . ويعلن في نور الروح ، البشارة الداعية كل البشر الى الحياة في المسيح بالروح القدس . كذلك يتضرع يسوع إلى الآب « بالروح » . وبه تصبح طبيعته الإنسانية طبيعة « شكرية » : « ابتهج يسوع بالروح القدس ، فقال : احمدك أيها الآب ، يا رب السماء والأرض » (لو ١٠ : ١٢) . . .

تكلم السيِّد علانية ، عند اقتراب موعد آلامه ، عن تدفق الروح ، كما لو كان هذا التدفق هو الهدف الوحيد والنهائي لمجيئه : « لن اتركّكم يتامى ، بل أرجع اليكم . . . وسأطلب من الآب أن يعطيكم معزّياً آخر يبقى معكم إلى الأبد هو روح الحق » (يو ١٤ : ١٨ ، ١٦ : ١٧) . مذ ذاك لن يأتي المسيح الينا إلاّ في الروح ، في جسده ، « الروحي » الممتلىء بأفعال الروح ، و«الكنسي» في آن . « من الخير لكم أن أذهب . فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم المعزّي . أمّا إذا ذهبت فأرسله إليكم » (يو ١٦ : ٦ - ٧) . أتى المسيح حتى يؤهّل الخليقة لتقبّل الروح . جاء لكي « يلقي ناراً على الأرض » (لو ١٢ : ٤٩) ، لكي يفجّر الماء الحيّ ، ويفتح مجالاً لمعمودية الولادة الجديدة التي تجعلنا مشابهين له في ولادته من الروح القدس : « ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلاّ إذا وُلد من الماء والروح » (يو ٣ : ٥) .

« عندي كلام كثير أقوله لكم بعد ، لكنكم لا تقدرون الآن أن تتحملوه . فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله ، لأنه لا يتكلم بشيء من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث » (يو ١٦ : ١٢ - ١٤) .

لن يكون للروح - وليس له - أي كلام غير الكلمة ، لكنه يأخذ مما قيل في الماضي لكي يُعلن ما سيأتي . يأخذ من المسيح مضمون رسالته لكنه يعلنها في منظار اليوم الأخير . يعلن المسيح الآتي ، غير الموسوع من العالم ولكنه الحامل العالم كله ودافعه إلى الإستنارة . يجعلنا الروح نعي حضور المسيح كنافذة من نور تلج منها الخليقة كلها إلى الحياة الأبدية . يعلّم الروح « الأمور الآتية »، أي محبة الثالوث الذي تدخل الإنسانية رويداً رويداً في شركة معه . يعلّم أن تأليه الإنسانية هو هدف التاريخ الحقيقي . « الحق الحق أقول لكم : من آمن بي يعمل الأعمال التي أعملها ، بل أعظم منها ، لأني ذاهب إلى الآب فكل ما تطلبونه باسمي أعمله ، حتى يتمجد الآب في الابن » (يو ١٤ : ١٢ - ١٣) : زمن الروح هو زمن« تآزر »(Synergeia) وتعاون وخلق إلهي إنساني معاً ، باسم المسيح ، حيث يكون حضوره أكثر حدة ، أي في الإفخارستيا ، في الكنيسة . هناك ينفتح امام الحرية البشرية التي اضحت خلاّقة بالروح ، مجالاً لا متناهياً ، يتمكن فيه الإله - الإنسان أن يصبح ، على حد قول فلاديمير سولوفيوف ، « الإله - الإنسانية » و« الإله - الكون » .

هذا وبعد أن أعطى يسوع هذا التعليم ، أصبح بإمكانه أن يقدّم نفسه للآب وأن يقدّمها بالروح ، كما توضح الرسالة الى العبرانيين (٩ : ١٤). وعند نسمته الأخيرة على الصليب ، « يستودع يسوع روحه بين يدي الآب » (لو ٢٣ : ٤٦ ، يو ١٩ : ٣٠) . عندها يملأ الروح الهاوية المنفتحة بين الآب و ابنه المصلوب ، محولاً الصرخة الرهيبة التي دوّت عبر الأجيال وقاريت الثورة: «إلهي، لماذا تركتني؟» (متى ٢٧ : ٤٦) إلى مزمور شكر وتسبيح ، عكس ما يتمناه الالحاد المعاصر. وعندئذ ملأت جمرة الروح، ليس فقط الجبل كما حدث في التجلي بل القبر الفارغ واحشاء الأرض المرتهنة للشيطان، لتعيدها الى خصبها السرّي . وهكذا صار بالإمكان أن تبدأ العنصرة، إذ هدّم المسيح، غالب الجحيم والموت، بموته على الصليب وقيامته وصعوده ، كل جدران التفرقة والانفصال. ولم يعد يوجد بعد الآن أي شيء - ما عدا رفض الإنسان - يمكنه أن يفصل بين الله والإنسان. وبالتالي ، أصبح بإمكان الروح القدس ، ضمن هذه الوحدة الكبيرة في المسيح، أن يهبّ حيث يشاء . وها هو الآن يعود إلى الإنسانية من خلال وداعة المسيح، بعد أن غرّبته السقطة عنها جزئياً إلى حد أخذ معه

يظهر لها بصورة العاصفة الهدّامة المغشية للرؤية.

ها هو يعود من خلال تناول الخبز والخمر، الجسد والدم، فيصبح أقرب إلى الإنسان من ذاته. «في البدء، وهب الله الإنسان نفحة الحياة، أمّا الآن فهو يمنحنا روحه بالذات»[1]. الآن يدخل الروح شخصياً إلى قلب العالم، لأن الكنيسة ليست سوى الكون العائد إلى شفافيته الأولى، فيضحى ضميرنا، حياة حياتنا، نَفَس تنفسنا. وبعد ان كان مستقراً في الابن المتجسد، جاعلاً إياه شفافاً للآب، ها هو يستقر الآن أيضاً في كل واحد من الذين يعترفون بالروح أن يسوع هو المسيح، ويتجرأون أن يدعوا الله، الاله الذي يفوق كل تصوّر، أب كل الخيرات: «يا أبا الآب»، ويستقر عليهم مجتمعين. «في ذلك اليوم»، قال السيد - ونفهم ان هذا اليوم هو آن العنصرة الدائم التجدد - «صدّقوني إذا قلت: «أنا في الآب»... اثبتوا فيّ وأنا فيكم» (يو ١٤ : ١١، ١٥ : ٤). في الآب، فيّ، فيكم: هذه الكلمة «في» المترددة ثلاثاً تشير سرياً إلى الروح: بالروح يوجد المسيح فينا ونحن فيه إلى آخر العالم، وقد دخلنا منذ الآن في الأيام الأخيرة.

(١) نقولا كاباسيلاس، الحياة في المسيح، ٤، منشورات النور.

علاقة الروح بالكنيسة

هكذا تصبح الكنيسة بالمسيح كنيسة الروح القدس

الكنيسة هي كنيسة الروح القدس لأنها سر المسيح في الروح القدس ، ومدعوة دوماً إلى أن تصبح ، على صورة الثالوث ، « شركة الروح القدس » .

ليست الكنيسة ، في أعماقها ، سوى سر المسيح القائم من الموت ، هذا السر الذي « يقيمه » لنا الروح . انها ، كما يقول بولس الرسول ، « جسد الروح » (Soma pneumaticon) الذي تتدفق منه القوّات المؤلّهة « من أجل حياة العالم » . « الألوهة » تسكن جسدياً » في الكنيسة ، لأنها سكنت - وتسكن - طبيعة المسيح الإنسانية . أمّا الروح ، فهو المدبّر (mystagogue) الكبير لهذا الملء الخفي . إن التلازم العميق للروح والكنيسة في دساتير الإيمان القديمة كلها يسترعي الانتباه . وعلى سبيل المثال يقول دستور هيبو - ليتوس الروماني : « أؤمن بالروح القدس في الكنيسة المقدسة الجامعة » . وكذلك نلاحظ التلازم نفسه في الدستور النيقاوي - القسطنطيني الشائع الاستعمال ، حيث نجد أن

الإيمان بالروح « الناطق بالأنبياء » هو المدخل للإيمان بالكنيسة ، وبالمعمودية ، الحياة الجديدة بالماء والروح ، و« بقيامة الموتى » التي نتذوقها من جراء حلول الروح القدس ، في الأسرار والقداسة . ولا بد من التذكير هنا ببعض المقاطع للشاهد الكبير للتقليد الرسولي ، القديس ايريناوس ، أسقف ليون في القرن الثاني . يقول ايريناوس إن السيد « بتجسده » أعطى ذاته لنا كما يعطى الحليب ، لكي ، برضاعتنا من جسده ، نتعوّد على أكل كلمة الرب وشربه ، وبالتالي نستطيع أن نحفظ فينا خبز عدم الفساد الذي هو روح الآب » .[1] وينتهي ايريناوس الى القول : « حيث توجد الكنيسة ، يوجد أيضاً روح الله ، وحيث يوجد روح الله توجد الكنيسة وكل نعمة . . . المشتركون بالروح هم الذين يأخذون من أحشاء أمّهم طعام الحياة ، ويتقبّلون كل شيء من الينبوع الكلي الطهارة الجاري من جسد المسيح » .[2]

في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، يعطي بولس

(١) ضد الهرطقات ، ٤ : ٣٨ ، ١ .
(٢) ضد الهرطقات ، ٥ : ١٨ ، ٢ .

الرسول المعنى نفسه للكلمات « كنيسة » و « إفخارستيا » و« جسد المسيح » . ولا يتكلم عن الحياة « الخارزماتية » ، أي الحياة في الروح القدس ، إلاّ في إطار الاجتماع الإفخارستي ، إذ تتم « مباركة » الخبز والكأس « بالروح » (١ كو ١٤ : ١٦) ، والخبز والكأس هما « روحيّان » ومصدران للحياة « الروحية » . روح النبوّة الحقيقية هي روح «سرّية».

يمكننا اختصار كل هذه الأمور بكلمة واحدة : « الإستحالة »، وهي الصلاة التي يتلوها الكاهن ، بالاشتراك مع الشعب في قلب كل عمل «سرّي» ليطلب من الآب أن يُرسل روحه على مادة السرّ والمؤمنين جميعاً ، لكي يضمهم ، أي المؤمنين بواسطة مادة السرّ ، إلى جسد المسيح الناهض الروحاني (Sôma Pneumatikon) الذي لم يتنزه عن المادة لكنه أحيي كلياً، وصار حاملاً الحياة ، مؤلهاً وموهاً . ويكون العهد القديم كله ، في هذا المفهوم ، صلاة « استحالة » تطلب ، بلسان الأنبياء ، التجسّد : « لو خرقت السماء ونزلت . . . . » . يتمم المسيح كاهننا

الأعظم ، الجالس بمجد عن يمين الآب ، الاستحالة الأساسية ، الاستحالة الحقة ، التي تسبّب العنصرة .

أمّا العنصرة فلا نهاية لها ، لأن الروح القدس لن يتوقف أبداً عن « النزول » من هذه الفجوة التي فتحها المسيح ، وإلى الأبد ، في حائط البعد والتفرقة ، من خلال عنصرة الأسرار الحقيقية التي تعطي الكنيسة قداستها بصورة تتجاوز كل الأوضاع الاجتماعية . ان استحالة السيد الدائمة التي « يعيدها » خادم الأسرار ، هي أيقونته الحيّة التي تجعل من الكنيسة سر المسيح القائم ومصدر القيامة . الأسرار هي أوجه مختلفة لسر وحيد ، هو سر الكنيسة بالذات ، لأن الكنيسة هي المجال « المسيحاني »[1] للروح . وهذا لا يعني أن الروح سجين في الكنيسة ـ مما لا يمكن حصوله لأن الروح هو محرّك مصير الكون ومحرك تاريخ البشر ـ بل أن الروح ينطلق من الكنيسة ، لأن الكنيسة ، بالنسبة لعين القلب ، ليست موجودة في العالم ، بل العالم موجود في الكنيسة . « بارتوائنا من الروح نكون قد شربنا المسيح »، يقول اثناسيوس الإسكندري[2] ، لأن الأسرار تدخلنا إلى المكان

(١) نسبة للمسيح (Christique) .
(٢) PG. 26, 573 D

حيث تنقلب الحياة الصائرة إلى الموت ، بنعمة الصليب ، إلى حياة في الروح . فقط في كنيسة الروح القدس ، يمكننا أن نتجاوب مع الأرض القائمة من الموت ، الأرض المتجلّية ، أرض الأحياء ، لأن كل تجاوب آخر هو استسلام للموت .

سر المعمودية وسر الشكر يكوّنان ، بشكل الخاص ، عمق الكنيسة « الروحي » ، الأول كمدخل إليه والثاني كموصل إلى كماله . « ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلاّ إذا وُلد من الماء والروح » (يو ٣ : ٥) ، كما قال يسوع . بالمعمودية ، ندخل مع المسيح ، إلى مجال الموت والى الجحيم ، أو بالأحرى نعي أننا صائرون إلى الموت ، ونولد من جديد في المسيح ، في مجال الروح ، مطعّمون بجسد المسيح القائم النوراني ، قائمون معه في نور الروح . لذلك كانت تدعى المعمودية ، في الكنيسة القديمة ، « عيد النور » ، لأنها ، كما يقول أحد الآباء ، « لباس نور أو بالأحرى النور بالذات »[١] . الروح يجعل من ماء المعمودية « رحماً للبنوة » . وكما يقول اسحق

(١) ثيودوروس أسقف قورش .

السرياني «النار والروح يوجدان في معموديتنا».[1] ويشدّد الارتباط الوثيق القائم، في الشرق المسيحي، بين سر الميرون والمعمودية، على البعد «الروحي» للمعمودية. يُمسح جبين المعمَّد ومراكز حواسه الخمس، وصدره بجوار القلب، ويداه ورجلاه، بالميرون المقدس، فيما يردد الكاهن، عند كل مسحة: «ختم موهبة الروح القدس»، لكي يتعلّم الإنسان، شيئاً فشيئاً، أن يشعر ويفكر ويتنفس ويفعل ويمشي، ليس في جو الموت، بل في جو الروح.

ومن خلال كل حالات «الموت - القيامة» التي سوف يصادفها في حياته، سيجسّد الإنسان، شيئاً فشيئاً، نعمة المعمودية في واقع الحياة. لذلك سيفتّش عن «مكان القلب» ويجده، بواسطة صلاة مرتبطة بتنفسه، موحّداً بها ضميره وقلبه، جامعاً ذاته، متجاوزاً حدوده، في لقاء القلب والروح هذا، الذي يجعله شفافاً لتوهّج الروح القدس...

وكما أن سلّم الفضائل التقليدي يبدأ بالإيمان ويكتمل بالمحبة، كذلك يبدأ مجال الروح في الكنيسة بالمعمودية

---

(١) في الإيمان.

ويكتمل بالإفخارستيا ، « الكأس الجامعة »، « اللحظة النهائية »، كما يقول كاباسيلاس ، « لأنه لا يمكن للمرء أن يذهب أبعد من ذلك ولا أن يضيف إليه شيئاً ما »[1] . انه « سر الأسرار » كما كتب ديونيسيوس المتصوّف ، « رأس كل الأسرار و « محورها »[2] المشع . ليس سرّ الشكر سرّ في الكنيسة ، بل هو السرّ الذي يكوّن الكنيسة ، في ملئها الإلهي الإنساني ، كمجال للروح ، بطريقة تفوق ضعفات المسيحيين وخطاياهم التاريخية .

« ماران آتا ! يقول الروح والعروس : تعال ! أيها الرب يسوع ! »(رؤيا ٢٢ : ١٧) . يوجد تطابق بين الليتورجيا المقامة في الكنيسة والليتورجيا السماوية التي يصفها سفر الرؤيا . وها ان « أورشليم الجديدة » آتية منذ الآن ، بواسطة الروح الذي يُظهر في الخبز والخمر المتجلّيين في المسيح ، « السماء الجديدة والأرض الجديدة » ، لا بل السماء والأرض المتجددتين . يُحيي الروح ، مدبّر (Mystagogue) الإفخارستيا ، موت السيد وقيامته في آن ، ويظهر من خلالها ، ومن خلال ستر السر ، اليوم الأخير

(١) الحياة في المسيح ، ٤ .
(٢) الايرارخية الكنسية ٣ ، ١ .

الحاضر منذ الآن، هذا الكمال الذي لا يزال خفياً، مجيء الملكوت السرّي الذي سيتحقق نهائياً في «شركة القديسين». نقول في ذكر حياة السيد، في قداس يوحنا الذهبي الفم : «ونحن لتذكرنا. . . كل ما جرى من أجلنا: الصليب والقبر والقيامة. . . والصعود. . . والجلوس عن الميامن والمجيء الثاني المجيد. . .». تحدد هذه الذكرى المزدوجة للسر الفصحي ولمجيء السيد الأخير، «تاريخ» الروح بالذات، إذ لن نتمكّن من اقامتها لولا وجود «النفحة» المسبّبة لكل القيامات. لذلك يخيّم طابع العنصرة على الإستحالة في سرّ الشكر أكثر من أي سرّ آخر، وهذا ما نجده في نصّين لصلاة الاستحالة واحد من الغرب والآخر من الشرق.

يرجع الأول إلى هيبوليتوس الروماني وقد أُعيد استعماله مؤخراً في الطقس اللاتيني:

« نطلب اليك، يا سيد، أن تُرسل روحك القدوس على ذبيحة الجماعة. إجمعها، وحدّها وهبْ كل قديسيك الذين يؤلفونها أن يمتلئوا من روحك القدوس». ونذكّر أن عبارة «كل القديسين» تعني بلغة الكنيسة القديمة، كل

أعضاء الكنيسة المقدسة المعمّدين الذين ارتضوا أن « يفرزهم » السيّد من أجل العمل لخلاص العالم .

أمّا النص الثاني الشرقي ، فهو صلاة الاستحالة في قداس القديس باسيليوس الكبير .

« نسألك ونطلب إليك يا قدوس القديسين أن يحلّ بمسرة صلاحك روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويباركها ويقدّسها ويوضح امّا هذا الخبز فجسد ربنا وإلهنا يسوع المسيح الكريم نفسه ، وأمّا في هذه الكأس فدم ربنا وإلهنا يسوع المسيح الكريم نفسه الذي أهرق من أجل حياة العالم وخلاصه .

وأمّا نحن المشتركون في الخبز الواحد والكأس الواحدة فاجعلنا كلنا متحدين بعضنا ببعض في شركة الروح القدس الواحد » .

نلاحظ أنه يوجد في النصين تضرّع من أجل مجيء الروح وحلوله على القرابين المقدّمة من قبل الجماعة ، وعلى الجماعة نفسها المقدّمة هي أيضاً كقربان ، لكي يشترك الجميع في جسد المسيح الروحاني (Soma pneumatikon) ويدخلوا

مكان العنصرة الدائمة ويجدوا أنفسهم متحدين « في كنيسة »، « بشركة الروح القدس ».

وهكذا، كما يكتب أحد الآباء السريان، « فإن الذي يأكل هذا الجسد بإيمان، يأكل معه نار الروح القدس ».[1] يدعو التقليد السرياني الافخارستيا « ناراً و روحاً »، بالضبط لأنها جسد المسيح ودمه. أمّا في القداس البيزنطي، فيرتل المؤمنون بعد المناولة: « لقد نظرنا النور الحقيقي وأخذنا الروح السماوي ووجدنا الايمان الحق، فلنسجد للثالوث غير المنقسم لأنه خلّصنا ». تُربط رؤية النور والاشتراك به بتقبّل الروح في سجود للثالوث أي في شركة على صورة الثالوث هي « شركة الروح القدس ».

يسعى الروح باستمرار الى أن تكون الكنيسة في « شركة » من جرّاء مساهمتها في حياة الثالوث. وكما يقول القديس يوحنا الدمشقي: « إن الأشخاص (في الثالوث) متحدون لا من أجل الإندماج بل لكي يستقر الواحد في الآخر ». ويقول أيضاً: « كل واحد يحتوي الوحدة نتيجة علاقته بالآخرين بالقدر نفسه الذي يحتويها نتيجة علاقته

(١) مذكور في أ. هامان، القداس، باريس، ١٩٦٤، ص ٩٤.

بذاته»[1]. يجعلنا الروح، في هنيهات وجيزة ثمينة، وقبل كل شيء في الليتورجيا، نستشعر بما هو مُعطى لنا، أي اننا أصبحنا في المسيح واحداً إلى حد التطابق، أصبحنا «انساناً وحيداً» في كل البشر المتحدين بجسد ودم السيد، الذين أضحوا بذلك «أعضاء لبعضهم البعض». نعم كل هذا يُعطى لنا مجاناً، كهبة. إنه يسبق كل خبرة شركة ويوجهها، لأن هذه الخبرة ليست سوى تهجئة أولية للوحدة الأساسية. وبهذا يكمن حزن الروح وربما آلامه، في عمله وسط هذه الظلمة والغشاوة. يريد الروح أن نعي هذا الملء. يسعى باستمرار أن يعلن لنا الآخر، إذ لا يمكن معرفة أي إنسان بدون إعلان من الروح. الروح هو الإله الداخلي الذي يصنع الوجه من الداخل، ينزع الأقنعة، يصعد الى واجهة الكيان الأيقونة المستترة في أعماق القلب. بذلك يكرّس الروح، في وحدة جسد المسيح الاساسية، وحدانية كل شخص. انه «يميّز»، ليس لصدع الوحدة، بل لجعلها حيّة ومعطاء في حركة المحبة. «يميّز» مقترحاً على كل واحد موهبة خاصة، دعوة شخصية للايمان والخدمة. هذا التضاد الثالوثي بين الوحدة والتعدّد يظهر بقوة في العنصرة،

(١) في الإيمان الأرثوذكسي، ١٠٨.

حيث نرى بوضوح تعايش « الجماعي » و« الفردي » : التلاميذ « مجتمعون »، لكن الألسنة النارية « انقسمت ووقف على كل واحد منهم لسان » (أعمال ٢ : ٣) . وكذلك امتلأوا كلهم من الروح القدس ، لكن الروح أعطى لكل واحد أن يتكلم بلغة مختلفة (أعمال ٣ : ٤) ، ممّا يشير إلى التعددية الثقافية وبالأخص الشخصية ، لأن معرفة لغة الآخر تعني ، قبل كل شيء ، التمكن من إيقاظ متبادلٍ للقلوب . يعطي الروح لكل واحد أن يلتزم بطريقة لا توصف الكائن الجديد ، الكائن الفصحي ، القائم ، الذي وهبه المسيح للبشرية . و اذا كانت خطيئتنا ووضعنا الساقط الصائر إلى التفرقة والعزلة ، غالباً ما يوهنان عمل الروح ، يعرف القديسون ـ وكم من قديسين لا يعلم بهم أحد ـ أن « يعزّوا المعزّي » ، كما ورد في صلاة مؤثرة شاعت بين المسيحيين في روسيا منذ عشر سنوات .

إن الروح القدس ، هذا المجهول ، يكشف عن ذاته ، شيئاً فشيئاً ، في اختلاف الوجوه وشفافيتها ، في نمو شركة القديسين حول محور الوجه البشري الوحيد الممتلىء كلياً من الروح : وجه العذراء والدة الإله التي يدعوها الشرق المسيحي « الكلّي قدسها » (Panhagia) ، هذا اللقب

الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية
www.orthodoxonline.org

الذي يتشابه لغوياً ، بصورة عجيبة ، مع اسم « الكلّي قدسه » (Panhagion) المعطى للروح .[1]

إذا كان اشتراكنا بأفعال الروح القدس يبقى جزئياً وناقصاً إلى أن يأتي آخر الأزمنة ، فإن كنيسة « حامل الروح » تجد تعبيراً كاملاً عنها في والدة الإله ، القمة الشخصية للكنيسة ولكل الخليقة . تمثّل والدة الإله ، بالنسبة للقديس غريغوريوس بالاماس ، الكمال الكلّي لجمال الخليقة[2] ، لأن الروح الذي يملأها هو روح الجمال . لذلك لا تُمنح أية موهبة في الكنيسة بدون شفاعة والدة الإله التي حققت مسبقاً في شخصها امتلاء الكون « الآتي » من الروح . يظهر إذاً سر الكنيسة والروح في شخصين كاملين : شخص يسوع الإلهي ، وشخص والدة الإله الإنساني الممتلىء من الروح .

كل معمّد مدعو أن يصبح « حاملاً للروح » . نقول ، في خدمة سر الزيت المقدس : « أيها المخلّص يا من وهبت النعمة للأنبياء و الملوك والكهنة ، هبها أيضاً لكل الذين

(١) وجه المسيح هو إلهي وإنساني في آن ، وبالتالي ليس وجهاً بشرياً وحسب .
(٢) في رقاد والدة الإله ، P.G. 151, 468 .

أرثوذكس تيوب
www.orthodoxtube.org

يُمسحون بهذا الزيت المقدس ». كل مسيحي مدعو إذاً أن يلبس ، بمسحة الروح ، كرامة الملك والكاهن والنبيّ المثلثة .

كرامة ملكية داود وسليمان ، أي موهبة الحكمة والتمييز والشجاعة والقدرة لإحلال النظام والسلام في التاريخ . ولكن أيضاً كرامة ملكية « الرهبنة الداخلية » حسب قول بول إفدوكيموف ، الملتصقة بالكينونة المسيحية من أجل التحويل المستمر بالروح للأهواء والغرائز ، ومن أجل سير لا ينقطع من « الصورة » المعادة إلى أصالتها في المسيح الى « المثال » الشخصي المبتدع بمشاركة الروح القدس . إن كرامة المسيحي الملوكية تجعله يصبو في حياته إلى تعمق ومصالحة أخرويين ، وإلى إبداع ثقافي لا نهاية له .

في نصوص العهد القديم الكهنوتية (خر ٢٨ : ٣ ، ٣١ : ٣ ، ٣٥ : ٣١) تعتبر جدارة الحِرَفيين ورجال الفن كموهبة من الروح . إن إبداع الفنّان التوّاق للقيام بعمل شكري في كل شيء ، والأبوّة التي تحرّر وتهب الروح ، هما ، على صورة الأبوّة الإلهية ، خميرة لهذا الإبداع الثقافي الذي لا يمكن أن يوضع له حد بالرغم من أنه يصل قمته في

« الفن » الليتورجي وفي « تمييز الأرواح » عند « الشيوخ » (الستارتس) . لأنه لا يوجد ثمة شيء « مقدّس » و آخر « دنيوي » بل هناك دوماً « المقدّس » و « الدنيوي » في صراع لا تُعرف نتائجه . لأن الهدف ، كما يقول زكريا النبي ، يكمن في أنه « في ذلك اليوم يكون على جلاجل الجبل قدس للرب والقدور في بيت الرب كالجامات أمام المذبح ، بل كل قدر . . . يكون قدساً للرب » (١٤ : ٢٠ - ٢١) .

كما نرى ، لا معنى لهذا الإبداع الملوكي سوى من منظار التقدمة الكهنوتية . تكمن كرامة كل « حامل للروح » الكهنوتية ، حسب قول الآباء ، في سعيه أن يجعل من حياته إفخارستيا متواضعة واثقة ، في انخراطه ، بالروح ، في موقف الابن الشكري ، أو بالأحرى ، في كيان الابن الشكري . كتب أوريجانس : « إذا أحببت إخوتي إلى حد خسارة نفسي من أجلهم ، وجاهدت من أجل الحق حتى الموت ، وصُلب العالم لي وأنا صُلبت للعالم . . . أصبح كاهن حياتي » .[1]

(١) في اللاويين ، العظة ٩ ، ٩ .

« إذا صُلب العالم لي وأنا صُلبت للعالم » . لا يعني هنا بكلمة « العالم » خليقة الله ، عالم الله الذي يجب على الإنسان أن يصبح كاهنه على مذبح قلبه ، بل شبكة الأهواء والأعمال الوثنية التي تحيط بنا ، ساعية أن تفرض نفسها علينا وتفكر وتتكلم مكاننا . فيكون أوريجانس ، في هذا المنظار ، لا يكتفي بالتلميح إلى الكرامة الملوكية بل أيضاً إلى الكرامة النبوية . يكشف النبي ، بإحساسه « بمقاصد » الله ، بُعد التاريخ الأخروي ، ويطعّمه بطعم الأبدية أي بالرجاء .

ملك ، كاهن ، نبي . إنْ في الصبر والآلام يوماً بعد يوم أو في لحظة الشهادة ، إذ أن القول المأثور : « أعط دمك وخذ الروح » قيل أولاً بالنسبة للرهبان الشاهدين مدى الحياة لجهالة الصليب .

في منظار الكهنوت الملوكي والنبوي هذا ، يمكننا فقط أن نصل إلى فهم متّزن للوائح المواهب التي يقترحها بولس الرسول مراراً في رسائله . إثنتان فقط (١ كو ١٢ : ٨ - ١٠ ، و ٢٨ - ٣٠) من تلك اللوائح الأربع تذكر ، ولكن في آخرها ، موهبة « الألسنة » التي ربما تشكل الاشتراك

البشري في تنهد الخليقة وتسبيح الملائكة . أمّا موهبة «الرسولية» فتأتي في المرتبة الأولى (١ كو ١٢ : ٢٨ - ٣٠ ، افس ٤ : ١١ - ١٣) ، تليها موهبة «النبوّة» التي هي في نظر بولس ليست فقط إلهاماً من الروح ، بل فهم شخصي يحركه هذا الإلهام ويعبّر عن ذاته في كلام مفهوم ، مما يشير إلى تعاون واع بين الإنسان والروح ، اتحاد لا تنفصم عراه بين الكلمة (Logos) والروح (Pneuma) ، الكلام والصمت ، من أجل الوصول إلى كلام لا يكون مجرّد لغط إيديولوجي ، أو تنظير فلسفي أو حتى لاهوتي ، بل رقية للصمت . يضع بعد ذلك بولس المواهب في اتجاهات ثلاثة : اتجاه تعليمي ، حيث يصبح الكلام حكمة ، اتجاه قوة خيّرة وشافية ، قوة أبوّة حقيقية (تمييز الأرواح) وأخيراً وخاصة اتجاه حياة مسيحية يومية تظهر فيها المعجزة من خلال الأعمال العادية البسيطة وليس في الأمور الخارقة للطبيعة ، لأن الأمور العادية ، في هزالتها ، امتلأت من نور الروح وسلامه .

يجب أن نشدّد على هذا الكلام لأن خبرة الروح ، الخبرة «الخارزمانية» ، لا يمكن أن تتحقق كلياً ، بعيداً عن كل

شائبة، إلاّ إذا كانت كنسيّة، أي خاضعة لتنسّك الشركة والنظام. إذ لا يُعطى الروح أبداً للإنسان المدّعي الإلهام، الخاضع للتأثر النفساني وليس الروحي، والخاضع بالتالي للحدود والانشقاقات الحزبية. يُعطى الروح للإنسان العائش في شركة، الذي يعي الشركة الكنسية «كشركة قديسين» بمعناها المزدوج: اشتراك في سر الشكر و«تساوٍ في الجوهر» واعٍ بين بشرٍ يكتسبون الصفة الشكرية. إن الوعي «الجامع» (أي حسب الكل Kath'holon) للملء الروحي، لا يُعطى للإنسان الذي يفتّت جسد المسيح مغلقاً نفسه بذلك عن النور الثالوثي، بل يُعطى للإنسان الذي يكتشف شيئاً فشيئاً، بالتواضع والخدمة والطاعة المحرِّرة للكل من قِبل الكل، بواسطة ألسنة الروح النارية المختلفة، وحدته الأساسية الأنتولوجية مع الجميع في جسد المسيح «السرّي» الكنسي. يُعطى الروح للإنسان الذي يتحرّر من محدودياته الشخصية - ويحقق من خلال هذا التحرر، دون سابق تفكير أو قرار، ما يختلف به عن الغير حقاً - بانخطافه، بواسطة الصلاة والنسك، في «القلب - الروح» الشفاف للروح القدس، وفي الوقت نفسه «بخسارة حياته»، محبة بالإخوة.

وهكذا، فإن محبة المسيحيين لبعضهم البعض، وتوافق ضمائرهم السري في وحدة المسيح وتعددية الروح القدس، يكوّنان، عبر الزمن، الأيقونة الكنسيّة للثالوث. وهكذا يوازي «الإنسان - الكنيسة» «الإله الثالوث». ويجب أن تدخل حركة الشركة هذه، التي تبدأ باستمرار في الكنيسة، في عجين التاريخ كخميرة تحرره من ثقله. لذلك قال الكاتب الروسي فيدوتوف: «الثالوث القدوس هو برنامجنا الاجتماعي».

وجود النظام هو إذاً النسك الكنسي الثاني الضروري لتقبّل الروح القدس، كما يُستنتج من كلام بولس الرسول إلى «الخارزماتيين» - وكل المسيحيين هم خارزماتيون، وكذلك كل كيان حتى ولو بدا ظاهرياً خارج الكنيسة. قال: «كل واحد ينال موهبة يتجلّ فيها الروح للخير العام» (١ كو ١٢ : ٧)، «بذلك يهيء الإخوة القديسين للخدمة» (افس ٤ : ١٢). لذلك يضع بولس موهبة «الرسولية»، وموهبة «المحبة» المرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً قبل كل المواهب الأخرى، ويؤكد انها تفوق كل المواهب الخاصة، لأنها موهبة الكنيسة جمعاء الكبيرة. إن نشيد المحبة، في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس[١]، هو مفتاح

(١) الإصحاح ١٣.

هذا « النظام » وهذا « السلام »، ويسلّط نوراً على خدّام الجسم الذين يجب عليهم أن يجعلوا مواهب الروح العديدة تساهم في بناء الجسد الواحد، وقبل كل شيء أن يشهدوا أن الإستحالة مستجابة، ويختموا بشهادتهم الرسولية، العنصرة الاسرارية التي تشعل في الكنيسة لهيباً كبيراً تبدو المواهب الشخصية أمامه بمثابة شرارات صغيرة.

يتضح إذاً أن كهنوت الإكليروس لا يقلّل من قيمة الكهنوت الملوكي النبوي لأعضاء شعب الله العلمانيين بل هو موضوع في خدمتهم، لا هدف له سوى تشجيع مبادراتهم وتنسيقها.

تساءل باسيليوس الكبير قائلاً: « أليس تنظيم الكنيسة هو أيضاً من عمل الروح؟ »[1]. لكن غالباً ما يواجه هذا التنظيم « الخارزماتي » أيضاً - المدعو أن يكون حامي الإفخارستيا وحسب والقناة من حيث تتدفق مواهب الروح - في تطبيقه العملي، تجربة الثقل التاريخي والتشيّء. عندها يصبح الروح القدس روح النقد في الكنيسة، ويوجد فيها توتراً مطهّراً بين الرسل والأنبياء، بين

(١) المقالة في الروح القدس، ١٧.

موهبة الإكليروس والمواهب الخاصة ، ليس لهدم المؤسسة بل لإرجاعها إلى أساسها الإفخارستي ومسؤوليتها الرعائية ، في خدمة حق هو حياة ومحبة . ويضحي هذا التوتر سبباً للتعاون ، لأن التعاون لا بد له أن يُبتدع دوماً من جديد ، بين « الحس الكنسي » الذي تعبّر عنه ، بجلاء أو غموض ، شركة « حاملي الروح » وبين تعبيره الواعي في تحديدات الرئاسة الكنسية . « أمّا أنتم فنلتم مسحة من القدّوس وعرفتهم كل شيء »، يقول يوحنا الإنجيلي (١ يو ٢ : ٢٠) . مهمة الرئاسة هي في أن تساعد على التوعية أكثر منها أن تعلّم . فيظهر التعاون ، بذلك ، عمل الروح المزدوج ، في « موهبة الحق الأكيدة » الممنوحة للأسقف ، حسب عبارة القديس ايريناوس ، وفي دوره « كمعلّم داخلي » في قلب كل إنسان ، حسب عبارة المغبوط أغسطين .

وهكذا تظهر لنا الكنيسة في مظهرين يؤمّن الروح القدس دائماً في النهاية اتصالها ، حتى ولو تخلّل المسيرة صعوبات وألم ومخاض . فترتكز الكنيسة من جهة على صخرة ملء اكتسبته إلى الأبد ، بصورة غير قابلة للنقد ، بغلبة المسيح على الجحيم والموت ، وعلى انسكاب الروح في المسيح ،

بصورة خفية، على الإنسانية والكون. لكن يجب، من جهة أخرى، أن يظهر هذا الملء من خلال كياناتنا الشخصية، بواسطة تفاعل حريتنا الخلاّقة مع «النفحة» المحيية و انقلاب قلبنا بالتوبة.

كل ما أعطيت الكنيسة من أنتولوجي وثابت - وقد أُعطي لها إلى الأبد لأن أبواب الجحيم لن تتغلّب عليها - يجب إعادة إبداعه باستمرار، جيلاً بعد جيل، دهراً بعد دهر، ثقافة بعد ثقافة، شخصاً بعد شخص. أن يُعاد إبداعه لكن في أمانة خلاّقة وتناغم مُلهم لكي يصبح هذا الـ «بعد»، «معيّة» في حاضر تسبحة القديسين الأبدي حول «عرش الخروف». يولد التقليد من تحويل هذا الـ «بعد» إلى معيّة الـ «مع». التقليد هو حياة الروح في جسد المسيح، «جدّة الروح» (رو ٧ : ٦) الذي تجسّد دوماً غلبة السيد الأبدية، لأن الروح، كما يقول القديس ايريناوس أسقف ليون، هو قدرة التجديد، قدرة الشباب «يجدّد مثل شراب ثمين الوعاء الذي يحتويه»[1]. ولا يكتفي الروح بإحياء غلبة المسيح بل يهيء تجلّي العالم النهائي عند مجيء الرب

---

(١) ضد الهرطقات، ٣، ٢٤، ١.

الثاني . التقليد ، حياة الروح في الكنيسة ، هو ذكر للمستقبل .

عسى أن تصبح الكنيسة ، المصلوبة في التاريخ ، أكثر فأكثر في المسيح ، كنيسة الروح القدس ، معلنة صمتاً مليئاً بالدموع والفرح ، يبطل الكلام ، لكنه يخلّصه بتوحيده إياه بالكلمة . أن تكون معلنة أيضاً جمالاً يأتي بالسلام والنور ، كأنه انخطاف ليتورجي للكائنات والأشياء باتجاه الذي يخرج من ذاته في تأجج الروح ، لكي لا يبقى شيء دنيوياً بل يتمكن الكل من التجلّي . أن تُعلن الكنيسة الشركة الأخوية التي لا تغمر الغنى الشخصي الداخلي ، وتجابه كل الأثقال الإجتماعية بطلب صارم لا ينفك للعدل والحرية والعيش الواعي وتحويل العنف إلى قوة إبداع وتحرّر . أن تُعلن الكنيسة « فن الفنون وعلم العلوم » ، الصلاة ، هذه المعرفة الحقيقية النهائية ، أي معرفة سبل « الموت ـ القيامة » ، التي تجعل من القلق المسيطر على عصرنا مكان الروح المعطي الحياة التي لا تكترث للموت . بعمل الكنيسة هذا ينطلق روح العنصرة من كأس سر الشكر ، بملئه الشخصي ، إلى ملاقاة « النفحة » الأصلية الفاعلة في الكون والثقافة وإلى تحريرها . هذه هي « الثورة الثقافية » الوحيدة الجديرة بالاهتمام .